إن الحمد لله نحمده، و نستعينه، و نستغفره, و نتوب إليه, و نعوذ بالله من شرور، أنفسنا و سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له و من يضلل فلا هادي له، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك و له الحمد يُحيِ و يميت و هو على كل شيءٍ قدير. و أشهد أن محمداً عبده و رسوله، خير الخلق و البشر. أشهد أنه بلَّغ الرسالة و نصح الإمة و دعى اللهِ حتى أتاه اليقين. صلى الله عليه و سلم، و على آله و أصحابه، و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين و سلم تسليماً كثيراً.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١ ﴾ النساء: ١

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝١٠٢ ﴾ آل عمران.102

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٧١ ﴾ الأحزاب: ٧٠ - ٧١

أما بعد:

ألا إنَّ خيرَ الكلامِ كلامُ الله، و خيرُ الهدي، هديُ محمدٍ بن عبد الله. و إنَّ شر الأمور محدثاتها و كلُ مُحدَثَةٍ بدعة و كل بدعةٍ ضلالة و كل ضلالة في النار.

إخوة الإسلام، شرَع الله لعبادِه أنواعًا من الطاعاتِ والقرُبات، وأمرَنا وأَمرَ الأمَمَ قبلَنا بِعبادةٍ تُقرِّب العبدَ من ربّه وإلى خَلقِه، بها يثقُل الميزانُ يومَ القيامة.
و من أعظم هذه العبادات حُسنُ الخُلُقِ، قال عَليه الصلاةُ والسَّلام: ((ما مِن شيءٍ أثقلُ في ميزان المؤمن يومَ القيامةِ من خُلقٍ حسَن)) رواه الترمذيّ.
بحسن الخلق تُرفَع الدَّرَجات وتَزِيدُ الحسنات، قال عليه الصلاة والسَّلام: ((إنَّ المؤمنَ ليُدرك بحسنِ الخُلُق دَرجةَ الصائمِ القائم)) رواه أبو داود.
حُسن الخُلُق ثوابه عظيم؛ لو كان بأمرٍ يسير، قالَ صلى الله عليه وسلم : ((لا تحقِرنَّ منَ المعروفِ شيئًا ولو أَن تَلقَى أخاك بِوجهٍ طَلق)) رواه مسلم.

وخيرُ الْخَلقِ من كان مؤمِنًا واتّصَف بحسن الخُلُقِ، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: ((إنَّ خيارَكم أحسنُكم أخلاقًا)) رواه البخاري.

وأكثر ما يُدخِل الناسَ الجنَّةَ مع تقوى الله حسنُ الخلق، سُئِل النبيّ صلى الله عليه وسلم عن أكثرِ ما يدخِل الناسَ الجنةَ فقال: ((تقوَى الله وحُسنُ الخلق)) رواه الترمذيّ.

فالأخلاق الحميدة هي صفات الأنبياء و الصالحين. و قد جاء الإسلام بأفضل الأخلاق. و هذا لا يعني أن الناس قبل الإسلام لم يتمتعوا بأي نوعٍ من الأخلاق بل إن الإسلام جاء ليُتمم ما نقص من الأخلاق عندهم و دليل ذلك قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»

هذا يدل على أنَّ الجاهليين كان عندهم أخلاقًا حميدة، وتلوثت بأخلاق غير حميدة، فجاء الإسلام ليُصحح الخطأ ويُتمم النقص في الأخلاق.

و قد وصفَ اللهُ عز و جل رسوله صلى الله عليه سلم بحُسنِ الخُلُقِ فقال تعالى:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ القلم: ٤

قال بعض أئمة الشافعية -عليهم رحمة الله: "وتعظيم العظماء للشيء يدل على توغُّله في العَظَمَةِ".

فيقول هذا الإمام الشافعي في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾: "وتعظيم العظماء للشيء يدل على توغُّله في العظمة، فكيف إذا كان المُعظِّم أعظم عظيم، وهو الله تعالى!".

فمدح الله -عزَّ وجلَّ- نبيه -عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ- بأن أخلاقه عظيمة، ومن المعلوم أن الله تعالى إذا مدح نبيًّا فهذه الخُلة في جميع الأنبياء، وأولى الناس باتِّباعها هم أتباع الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام.

أيضًا الأخلاق عبادة، وقد يخفى على بعض الناس هذا المفهوم، فهذا يُصلِّي ويتعبَّد لله -جل وعلا- وذاك يصوم يتعبَّد الله تعالى، وذاك يتصدَّق يتعبَّد الله، وصاحب الأخلاق الحسنة يتعبَّد الله تعالى، حتى قال بعض العلماءِ: لو أن رجلًا يقومُ الليل ويصوم النهار، لكن أخلاقه سيئة، وآخر أخلاقه حسنة في أفعاله وأقواله وجميع شؤونه ولكنه لا يقوم الليل، فهو يُؤدي الفرائض في الصلاة والصيام، ولكن لا يصوم تطوعًا و لا يقوم الليلَ تطوعاً؛ فهذا أفضل ممَّن ساءت أخلاقه وقام ليله و صام نهاره؛ لأنَّ صيام النهار تطوعًا وقيام الليل مرده ونفعه إلى صاحبه، أما الأخلاق الحسنة فيتعدَّى نفعها إلى غيرهِ، ولهذا قال -عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ: «إنَّ المُؤمِنَ ليُدرِكُ بحُسْنِ خُلُقِهِ درجةَ الصَّائمِ القائمِ»[1].

[1] سنن أبي داود (4798)، معجم الطبراني الأوسط (236/6)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

و قد وَرَدَ في السُّنَّةِ المُطهَّرةِ أحاديثُ كثيرةٌ تَحُثُ على حُسنِ الخُلُقِ منها قوله -عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ: «إنَّ من أحبّكم إليَّ وأقربِكُم منّي مجلسًا يومَ القيامةِ أحاسنَكُم أخلاقًا»[2]، وقال -عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ: «مَا مِنْ شَيءٍ أَثْقَلُ في ميزَانِ المُؤمِنِ يَومَ القِيامة مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ»[3]، وقال -عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ: «وإنَّما مَثَلُ عَمَلِ أَحَدِكُمْ كَمَثَلِ الوِعَاءِ، إذا طَابَ أَعْلاهُ طَابَ أَسْفَلُهُ، وإذا خَبُثَ أَعْلاهُ خَبُثَ أَسْفَلُهُ»[4]، و قولهِ عليه الصلاة و السلام: «وإنَّ سُوءَ الخُلُقِ لَيُفسِدُ العملَ، كَما يُفسِدُ الخَلُّ العَسَلَ»[5]، فإذا كان عندك وعاءُ عسلٍ ووضعت عليه الخل فقد انتهى أمره و ذَهَبَ طَعمُهُ، فلا يصيرُ خلًّا ولا عسلًا، وكذلك العمل إذا ساء خُلُقِ صاحبه أثَّر عليه.

و قد أمرنا الله تعالى باتباع الرسول صلى الله عليه و سلم و جَعَلَ فيه الأسوةَ الحسنةَ

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾

الأحزاب: ٢١

و معنى قولهِ تعالى: لقد كان لكم في رسول الله أُسوةٌ حسنةٌ: أي هلا اقتديتم به و تأسيتم بشمائله.

و في الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: لَم يكن رسولُ الله صلى الله عليه و سلم فاحِشاً، و لا مُتَفَحِّشاً، و كان يقول: إنَّ من خِيارِكُمْ أحسنكم أخلاقاً.

فهذا الأثر الجميل يُبيّن أنهم كانوا على قسطٍ وافرٍ من الأخلاق، ولا شكَّ أن كتب التاريخ والحضارات تشهد أنَّ لأهل الجاهلية أخلاق ومروآت جاء الإسلام بإقرارها، مثل نبذ الكذب وذمّه، فأتى الشَّرع بذم الكذب فهو مُستقبح في الأعراف، ومُستقبح في النفوس الزَّكيَّة وفي الفِطَر السَّليمة؛ فجاء الإسلام بذمّه وتقبيحه؛ لأنَّ الإسلام لا يأتي إلا بكل خير، وما يُوافق العقول المستقيمة والفِطَر السليمة.

فحث الاسلامُ على قول الصدق و ترك الكذب.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: عليكُم بالصدْقِ، فإنَّ الصدْقَ يَهْدي إلى البرِّ، و البِرَّ يَهْدي إلى الجنةِ، و ما يزالُ الرجلُ يَصدُقُ، و يَتَحرَّى الصِّدْقَ حتى يُكْتَبَ عندَ الله صِدِّيقاً، و إيَّاكُمْ و الكَذِبَ! فإنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إلى الفُجورِ، و إنَّ الفُجورَ يَهْدِي إلى النارِ، و ما يزالُ العَبْد يَكْذِبُ و يَتَحرَّى الكَذِبَ، حتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله كَذَّاباً. رواه البخاري و مسلم.

---

[2] سنن الترمذي (2018)، صحيح ابن حبان (482)، صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (791).

[3] أخرجه أبو داود (4799) واللفظ له، والترمذي (2002) مطولاً، وأحمد (27517)، صححه الألباني.

[4] السلسلة الصحيحة للألباني (1734).

[5] أخرجه الطبراني في ((المعجم الأوسط)) (6026)، وأبو الشيخ في ((التوبيخ والتنبيه)) (97) باختلاف يسير، حسنه الألباني في صحيح الجامع (176).

و عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: آية المُنافِقِ ثلاثٌ: إذا حدَّثَ كَذَبَ، و إذا وَعَدَ أخلَفَ، و إذا اِئتُمِنَ خان. رواه البخاري و مسلم و زاد مسلم في رواية له: و إن صام و صلَّى و زَعَمَ أنَّهُ مُسلِمٌ.

إن الكذبَ كان مَذَمَّةً حتى قبل الإسلام و كان مما يُشانُ به المرءُ إذا كان من الكاذبين. و من الأدلة على ذلك قصة أبو سفيان رضي الله عنه قبل الإسلام لَمَّا قابلَ هرقل، فقدَّمه هرقل وأرجعَ أصحابه وراءه، وهذا من دهاء هرقل ومن فراسته, فسأل هرقلُ أبا سفيان أسئلة وقومه خلفه، وكان يسأله ثم ينظر إلى مَن خلفه بعد جوابه، فإن تغيَّرت أعينهم علم أن هذا الجواب فيه كذب، فسأل هرقل أبا سفيان مسألة فأجابه، ثم قال أبو سفيان رضي الله عنه: "فَوَاللَّهِ لَوْلاَ الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثِرُوا عَلَىَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ".

أيضًا من خصال أهل الجاهلية التي أقرها الإسلام وحثَّ عليها: الوفاء بالعهد.

قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «أَرْبَعُ خِلَالٍ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ»[6].

وذكر الذهبي في "السِّيَر" في تجريد أسماء الصحابة عن عوف بن نعمان الأشجعي أنهم كانوا في الجاهليَّة يقولون: لأن يموتَ الرجلُ عطشًا أحبُّ إليه مِن أنْ يُخلفَ وعده.

فكونه يُقال إن فلانًا أخلف وعده؛ فهذه مذمَّة ونقص عند أهل المروآت وعند الرجال، وجاء الإسلام فحث على الوفاء بالعهد.

و عن أنسٍ رضي الله عنه قال: ما خَطَبَنا رسولُ الله صلى الله عليه و سلم إلا قال: لا إيمان لِمَن لا أمانةَ لهُ، و لا دين لِمَنْ لا عهدَ له. رواه أحمد و البزار و الطبراني في الأوسط و ابن حبان في صحيحه.

و قد علَّمنا و أرشدنا الإسلام على كيفة التصرف في الطرقات و الشوارع و أعطى للطريق حقاً يلتزم به المسلمون و سنَّنَ لنا سُنناً نتأدبُ بها حين نخرج إلى الطرقات. قال -عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ: «مَنْ آذَى الْمُسْلِمِينَ فِي طُرُقِهِمْ وَجَبَتْ عَلَيْهِ لَعْنَتُهُمْ»[7]،

وهذه الأذية لا تَقتصر على المسلمين و بل و غير المسلمين. فمن هذه الأذيَّة مثلاً: إيقاف السيارات بطريقةٍ تُغلق على الناس بيوتهم أو على مداخل سياراتهم.

---

[6] صحيح البخاري (3007).

[7] خرجه ابن عدي في ((الكامل في الضعفاء)) (213/3)، وأبو نعيم في ((تاريخ أصبهان)) (93/2)، وابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) (137/36)، حسنه الألباني في صحيح الجامع (5923).

و من الآداب التي يجبُ علينا أن نلتزمها في طرقاتنا ما رواه الإمام البخاري و مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه و سلم قال: إيَّاكم و الجلوس بالطرقات. قالوا: يا رسول الله! ما لنا بدٌ مِنْ مجالِسنا نتحدثُ فيها! فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: إن أبيتُم، فأعطوا الطريق حَقَّهُ. قالوا و ما حَقُّ الطريقِ يا رسول الله؟ قال غض البصر، و كفُّ الأذى، و رد السلامِ، و الأمرُ بالمعروفِ، و النهيُ عن المنكَرِ. رواه البخاري و مسلم و أبو داود.

فاقتَدوا بنبيّكم بالتخلُّق بأخلاقِ القرآن، وسِيروا على نهجِ صَحابتِه الكِرام، وكونُوا بأخلاقِكم أسوةً لغيركم؛ تنالُوا السعادةَ في الدارين، وتحظوا بمحبة الله ومحبة الخلق.

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق؛ لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها؛ لا يصرف عنا سيئها إلا أنت.